

الكوميديا السوداء في المسرح النسوي العربي

Black comedy in arab feminist theatre

1*نور الهدى العيفة

جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريش -

nourelhouda.laifa@univ-bba.dz

تاريخ الإرسال: 2024/11/06 تاريخ القبول: 2024/12/13 تاريخ النشر: 2024/12/26

الملخص :

تتبع السخرية السوداء من ألم فظيع تتحول معه لصورة مضحكة هزلية تقدم للمتلقي في الأدب عموماً، والفن خصوصاً وقد احتضن المسرح باعتباره أبو الفنون تيمة السخرية في النصوص النسوية الإبداعية فكانت المرأة هي من تكتب على معاناتها وتمثلها وأمسى هذا نزوعاً نادراً في الساحة الإبداعية العربية.

الكلمات المفتاحية: المسرح - المرأة - السخرية السوداء

Summary

Black sarcasm stems from terrible pain and turns into a funny, comic image presented to the recipient in literature in general, and art in particular. Theater, as the father of the arts, embraced the theme of sarcasm in creative feminist texts, so women were the ones who wrote about their suffering and represented it, and this became a rare trend in the Arab creative arena..

Keywords: theatre ;women ;black satire.

المؤلف المرسل

الكوميديا السوداء في المسرح النسوي العربي

مقدمة :

بعد ما كانت تجارب المرأة في الرواية والقصة والشعر تأليفاً وبطولة انتقلت عدوى الإبداع لأبو الفنون وهو المسرح تجليات الإبداع في هذا الفن كان تأليفاً وتجسيدا -تمثيلاً -، لتنافس الرجال على الركح كصوت خفي أو واضح محاولتنا كسر نمطية التقليد والنزوح نحو التجديد، ومتخطيتا حواجز التصنيف - ذكوري أنثوي -، وحواجز المجتمع ومن التيمات التي ارتكزت عليها تيمة الفكاهة والضحك تحت سقف الكوميديا بجميع تجلياتها وأبعادها الدلالية والرمزية التي قد تحمل عكس ذلك، ففي المسرح يكون الضحك أحياناً تطهيراً على مآسي داخلية، وقد يكون تحت قناع الكوميديا السوداء - المبكي المضحك - فالسخرية كانت أداة مهمة في المسرح العربي عموماً والنسوي خصوصاً لمناقشة العديد من القضايا التي تعتبر طابوهات في المجتمع. حيث وجد المسرح العربي - النسوي - الكوميديا السوداء منفذاً لتلك المفارقات العجيبة فجاءت معظم النصوص المسرحية متشائمة قاتمة ساخرة تحمل العديد من الرموز، ولهذا كان للمسرح العربي سمات جعلته منفرداً عن جميع المسارح وهذا ما سنتناوله في ورقتنا البحثية هذه منطلقين من تساؤلات أهمها :

ما هي تجليات الكوميديا السوداء *La comédie noire* في المسرح النسوي العربي ؟ وما هي أفاقها ؟.

أولاً - المرأة والإبداع:

إن أكثر ما يشعر بمعاناة المرأة هي المرأة نفسها، وهذا هو حال المبدعة /الروائية الجزائرية التي حملت لواء التعريف بالمرأة، وتبنت قضية تسليط الضوء عليها من خلال أعمالها جاعلتها من قلمها سلاحها في وجه كل من يتنكر للدور الفعال والجبار، الذي لعبه ذلك الكائن اللطيف والحساس لإثبات نفسه في فترة جد قاسية، دور لم يستطع بعض الرجال القيام به عملت الكثير من المبدعات على إرجاعهن للواجهة من خلال إقرار شجاعتهم ومكانتهن، بعد رجوع النظرة التقليدية المهشمة للمرأة، في حين تتعالى الأصوات ببطولات الرجل، متناسين إن كلاهما كانا يد واحدة في النهوض بالكتابة عموماً والمسرحية خصوصاً.

نور الهدى العيفة

عرفت الدول العربية عموماً صعوبة تلقي الفنون وعلى رأسها المسرح خاصة لدى المرأة ؛ ولمن الطبيعي أن يكون هناك جهاد ومقاومة كردة فعل لاسترجاع السلطة والحرية، فكانت المقاومة رجالية ونسائية، فحتى النسوة تبنين فكرة النضال، وقاومن بكل ما أوتين من قوة، تاركين أنوثتهن ورقتهن جانبا. فالمرأة العربية بصفة خاصة رغم ما تحمله من أنوثة ورقة فإنها تحمل النقيض أيضا فهي تحمل قوة وصلابة وتمردا لا تجدها أحيانا عند الرجال، ومثلما حاربت الاستعمار لم تستسلم في محاربة ظروف أخرى بل زاد تعلقها بموقفها التحرري، وظلت تطالب بتحررها وحقوقها ولم تستسلم.

وهذا ما أدى لعلو صوت المرأة المسرحية لتعكس التيار الإبداعي السائد الممجد للبطولات الذكورية، ليتشكل مع المسرحيين النساء قضية مهمة من خلال السعي لجعل الهامش مركزا، معلنتا خصوصية الكتابة، المدافعة من خلالها عن المرأة المجاهدة "وهنا يمكن القول إن المرأة قررت تخطي الحواجز ودخول عالم الكتابة والإبداع الأدبي، فكانت الكتابة بالنسبة إليها فعل خلاص، بل ردا على القهر الوجودي العام الذي ظلت تمارسه عليها السلطة الذكورية"¹

أصبحت الكوميديا السوداء متواجدة في العديد من الاتجاهات الأدبية والإبداعية والفنون منها المسرحية، حاملة معها عبثية مريرة وصورة متشائمة في غلاف من الضحك والسخرية، فالكتابات التي خلفت الضحك الناتج عن جرعة السخرية الزائدة، كانت تخفي وراءها شيئا جادا وحزينا، فكانت نوعا من تحويل الألم والمعاناة إلى ضحك هستيري فكان الضحك بطعم الألم مع السخرية السوداء باسطة نفوذه في العمل، وهذا النوع من الكتابة هو مرآة عاكسة للحياة العربية والواقع المأساوي الذي يعيشه المبدع العربي، والمجتمعات العربية كافة، فالسخرية هي "التعبير في أقصى ذروته عن حاجة الشخصية الإنسانية إلى التحرر والاستقلال حسب تعريف هيجل، والقارئ الحاذق هو من يستطيع اقتناص الأبعاد الحزينة من السخرية داخل العمل ومعه يصبح للحديث الساخر لغة أخرى.

أولا : العتبات الاصطلاحية للفظة سخرية /السخرية السوداء :

1- المعنى الاصطلاحي لمفردة سخرية :

الكوميديا السوداء في المسرح النسوي العربي

"محاكاة أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم وخلقهم، قولاً وفعلًا، أو إيماءاً إشارة على وجه يضحك منه .وهو لا ينفك عن الإيذاء والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص وإن لم يكن بحضرة المستهزأ به، فيتضمن الغيبة أيضا وقد حرّمها الشرع لإيجابها العداء وإثارة البغضاء، وإفساد العلاقات الودّية بين أفراد المؤمنين ."² ومن هذا التعريف نخلص إلى أن " السخرية صفة سلبية، منبوذة ومذمومة، إذا كان الهدف منها الانتقاص من شخص معين، وهي أيضا " السخرية طريقا خاصا للتعبير عن القضايا التي تدعو إلى الانتقاد في المجتمعات بلغة ساخرة ملؤها الضحك والمزاح .والسخرية مرآة صادقة للحقيقة من ناحية كما أنها طريق للتعبير عن والاضطرابات ولمساوئ والسيئات، ومعائب الفرد والمجتمع من ناحية أخرى . ومن هذا المنطلق يدافع الأديب الساخر عن القيم الإنسانية إذ يدافع عن المعنويات في عصره ذائدا عنها عدم واستقرارها حاثا المشاعر الإنسانية ضد الخوف الخرافات والأوهام مشيرا إلي مواضع الظلم حافزا علي الفهم كما أنه يوجّه أحاسيس الإنسان نحو الآلام واكتشاف لمواضعها مكرّما تقوي الضمير .والأديب الساخر يمتلك ظرافة تقدر علي إضحاكا الباكي الحزين المصاب بالآلام تأكيدا علي ما يعانيه من تلك الآلام .وهما أيضا يعود التعريف لنف المعنى المتحدث عنه سابقا فالسخرية خارج الأدب هي الانتقاص من الغير، والاستهزاء به وهي ظاهرة مرضية نابعة من عقد نفسية عديدة.

أما السخرية في الأدب والفنون خاصة المسرح فهي ظاهرة إيجابية وصحية، تسعى لكشف عيوب المجتمعات وحكامها الفاسدين، ومنه فهي ظاهرة إيجابية، وجب وجودها وعليه فهي طريقا خاصا للتعبير عن المشاكل الاجتماعية، والسياسية اللاذعة وبعبارة أخرى تعتبر السخرية طريقا للكشف عن الحقائق⁴ وفساد الفرد أو المجتمع في قالب من الاستهزاء والسخرية.فهو نوع من أنواع النقد، لكن بطريقة خاصة ومميّزة ومختلفة.

2- المعنى الاصطلاحي ل السخرية السوداء / الكوميديا السوداء

:

نور الهدى العيفة

بما أن الدراسة تنطلق في الأساس بالحديث عن السخرية السوداء / الكوميديا السوداء، وجب الوقوف عند الآراء المعرفة بهذا المصطلح للانطلاق الصحيح في الدراسة فـ " : هي نوع من الكوميديا والهزاء تمتاز بأنها تدور حول مواضيع تعتبر عموماً تابوهات أو أموراً محرماً الخوض فيها، بحيث يتم التعاطي مع تلك المواضيع بشكل فكاهي أو ساخر مع الاحتفاظ بجانب الجدية في الموضوع .مواضيع الكوميديا السوداء تتضمن مواضيع الموت والانتحار والحرب والإرهاب والعنف والجريمة والمخدرات والخيانة الزوجية والجنون والعنصرية والشوفينية والجريمة، إضافة إلى الجنس وما شابه .وتدور الكوميديا السوداء حول مواضيع سوداوية، ويعتمد كتاب السيناريو على أن يجعلوا هناك كوميديا في الموضوع ولكن سوداء، بمعنى أنها تعتمد على الشيء الذي يؤلمك وتدفعك للضحك، لذلك فهي كوميديا ليست بالسهلة ولا بد أن يكون المختص يتناولها شخصاً متمكناً . "وبما أننا أشرنا أنفاً أن السخرية هي النقد اللاذع الذي لا غرض منه سوى الانتقاص والتغيب، فإن السخرية السوداء تجمع بين النقضيين فهي الضحك والبكاء في الوقت نفسه، وهي تجمع بين الجدية والهزل. وقد عني بها أيضاً:

"عني بالكوميديا السوداء (La comédie noire) تلك الكوميديا الساخرة التي تصور المفارقة الصارخة بين السلوك والقيم. وتتسلح بالضحك والجنون والهذيان والباروديا والمحاكاة الساخرة لتدمير كل الثوابت التي تستند إليها الأنظمة السياسية المعاصرة على جميع الأصعدة والمستويات.بمعنى أن الكوميديا السوداء فلسفة تأملية مأساوية، تتدد بعبثية الواقع، وتهجو عدمية المجتمع وتشد على انحطاط القيم الإنسانية والأصيلة وتحفل بحياة العبث، والإخفاق، والفشل، والسقوط التراجيدي .إنها فلسفة الضحك الممزوج بالبكاء الهستيري . "فمن خلالها تتجلى المفارقة كنوع من أنواع التطهير النفسي، في عوالم السرد الناقد للوضع العربي والإنساني بصفة عامة، بنوع مختلف والمميز لا يفهمه إلا الناقد والقارئ المتميز أيضاً خاصة في القصة، فقد أصبحت وسيلة (..) " لإيصال رسائل مشفرة بالانتقادات الكاريكاتورية الساخرة والطافحة أيضاً بالواقعية الدرامية المتأزمة إلى ذلك

الكوميديا السوداء في المسرح النسوي العربي

الإنسان العربي المقهور و(...) والمستغل، ذلك الكائن المحبط الذي يعيش في مجتمع طافح بالتناقضات الجدلية والصراعات الطبقية والتفاوت الهرمي الاجتماعي. "منه فالرسائل من خلال الكوميديا السوداء مشفرة، لا تفهم ولا تفتح إلا بوجود متلقي حاذق، وقراءة واعية متأنية. " كما ينتقد هذا الفن القصصي الجديد النظام العالمي الجديد، فيكشف سلبيات العولمة التي جعلت الإنسان معطى بدون روح، تلك العولمة الزائفة التي حولته إلى رقم من الأرقام، فصيرته بضاعة مادية لا قيمة لها، ثم سلعة كاسدة لا أهمية لها.⁶ إن بدايات المسرح شهدت غيابا تاما للمرأة حتى لجأوا للاستعانة برجال لأداء الأدوار النسوية في المسرح.

3- تجليات السخرية السوداء في المسرح النسوي العربي:

تعتبر الكاتبة المسرحية العربية قلاما مهما من أقلام القصة في العالم العربي، نظرا لتمييز كتاباته، وعمقها وحملها آراء كثيرة مغلفة بالهزل والضحك وداخلها نقد سليل، يبدو جليا أن روائح السخرية كانت تنبعث في مستهل المسرحيات ومتونها.

بعد ربح من الزمن بدأت أسماء نسوية تلوح في التجربة المسرحية العربية المسرحية، ففي التجربة الإخراجية المسرحية مثلا نجد من الأسماء الجزائرية الأخنتين: حميدة وفوزية أيت الحاج، ومن الكتابات المسرحية نجد تجربة زهور ونيسي: دعاء الحمام

نص أسيا جبار المسرحي: الفجر الأحمر و، وكذلك تجربة صوفي عمروش جبل الأموات.

كانت انتفاضة روائية نسوية جزائرية مدافعة على المجاهدة / المرأة المهمشة من جدول النضال، فكان السلاح هنا القلم والساحة هي الورقة، وأصبحنا بذلك أمام " (...) نص عميق يهمننا منه مسألة واحدة وهي المرأة لأننا نؤمن إن أي كاتب لا يمكن أن يتجرد عند كتابة العمل الإبداعي ولا بد أن يودعه تجاربه وأمنيته الضائعة وحتى لحظات الحزن والفرح"⁷.

سعت الروائية العربية عموما والجزائرية خصوصا إلى إعلاء صوت الإقرار ببطولات المرأة الجزائرية وجعلتها هدفها ومبتغاها محاولة نزع صفة القصور

نور الهدى العيفة

والاستضعاف التي أسقطتها عليها النظرة الرجالية، تبنت المسرحية العربية قضية الدفاع عن المرأة في كتاباتها المسرحية، كنوع من الانتفاضة عن حال المرأة المجاهدة والمناضلة بعد الاستقلال إلى غاية يومنا الآن، فكانت السخرية السوداء نوعا من هذا النضال أو غطاء لعكس صورة مغايرة وإيصال رسالة مشفرة للجمهور .

"تعتمد الكوميديا السوداء، أو ما يسمى بالكوميك الصادم، على انتقاد الواقع بكل مستوياته السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وتعريته فكاهايا وكاريكاتوريا، ومسحه كروتيسكيا، وتشويهه فنيا وجماليا، وكشف نواقصه الظاهرة، وتشخيص عيوبه المضمرة، باستعمال السخرية والهزل والباروديا لرصد الواقع القائم، واستشراف لحظات المستقبل الممكنة .

كما تتوسل الكوميديا السوداء بالملحمة البريختية، واستخدام المسرح التسجيلي والتوثيقي والسياسي، وتوظيف النقد الجدلي، والتسلح بالأسلوب الساخر المفارق، والارتباط بالواقع فهما وتفسيراً، والاستعانة بكل المقومات المسرحية، سواء أكانت كتلا بشرية أم أشكالا سينوغرافية، باعتبارها علامات سيميائية وأيقونية. ومن هنا، فالكوميديا السوداء هي دراما واقعية جدلية نقدية، تجمع بين الجد والهزل من أجل تغيير الواقع، وتحرير الإنسان على مستوى الوعي والذهن والشعور.

وعليه، فالكوميديا السوداء قائمة على كوميديا الحوار، وكوميديا الشخصية، وكوميديا الموقف، وكوميديا الرؤيا. وغالبا، ما تنطلق هذه الكوميديا الصادمة من الأمثال الشعبية التالية: "كثرة الهم تضحك"، و"إذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده"، و"شر البلية ما يضحك..."

وترتكز هذه الكوميديا السوداء على الواقعية الانتقادية، والمادية الجدلية، والباروديا الباختينية، والتهجين اللغوي والتعبيري والخطابي والأجناسي، واستعمال التعريض والكناية والتلويح والأسلبة، واللجوء إلى الفكاهة الكاريكاتورية، والاستعانة بفن الهجاء ولغة الذم والقذح والتنقيص والتعيير، وتوظيف فن البساط، والاعتماد على المفارقات والمتناقضات، والتأرجح بين المختلف والمتشابه، والمزاوجة بين المتعة والفائدة، والجمع بين الجد والهزل، والميل إلى التجريب، والتجاوز، والمغايرة، والاختلاف، وخرق المألوف، والانزياح عن الأشكال السائدة⁸

الكوميديا السوداء في المسرح النسوي العربي

تعتمد الكوميديا السوداء عموماً وفي المسرح خصوصاً على الصراع بكل أنواعه ونقل الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في قالب من الهزل والضحك والفكاهة والنكتة ظاهرياً وباطنياً هو نقل لواقع مرير محزن ومؤسف وهو نوع من الانتقال إلى العدمية بعدما كان في سعادة فالممثل المسرحي في الكوميديا السوداء وكذا الكاتبة المسرحية يوصلنا لنا إنساناً يعيش في جو تراجيدي عديم حاملين درع السخرية في الكتابة والتمثيل والكوميديا السوداء في الكتابات المسرحية النسوية حاضرة غائبة لحضور وغياب النص المسرحي نفسه ورواده وقلبتهم وندرتهم.

النقد الساخر الذي يحمل رسالة توعوية



تيمة السخرية في المسرح النسوي العربي

الخاتمة :

لقد عانت المرأة عموماً من الاضطهاد والتهميش وخاصة المبدعة العربية وترجمة ذلك في كتاباتها خاصة المسرحية حيث هناك من هن من نقلنا الواقع كما هو وهناك من لجأنا للسخرية السوداء، لنقل الواقع المرير في قالب ساخر.

نور الهدى العيفة

الهوامش :

1_غنية بوضياف، كتابة الأنوثة /أنوثة الكتابة أحلام مستغانمي أنموذجا، مجلة المخبر، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جوان 2011، ص 203.

2_ <https://mail.almerja.net/reading.php?idm=223745>،تاريخ

الاطلاع 16-10-2024

3- الهام شادر، النزعة الفكاهية الساخرة في قصص " صور سلوكية لابي العيد دودو "، مجلة الاثر، العدد 30، جوان /2018

4- <https://www.aljadeedmagazine.com>، السخرية السوداء في

عوالم "جمهورية الظلام" الاثنين 01/01/2024 تاريخ الاطلاع : 16-10-2024

5- مجلة الفنون المسرحية، كتاب الكوميديا السوداء في المسرح المغربي

تأليف جميل الحمداني،

https://theaterars.blogspot.com/2017/01/blog-post_10.html،

13-10-2024 على الساعة

6-المرجع نفسه.

7- المرجع نفسه.

8نصيرة أحمد جودع الزبيدي، لمى جاسم محمد الدليمي، ملامح (النسوية) في

أدب المرأة ومشكلاتها الاجتماعية "مع دراسة لنصين مختارين لفرجينيا وولف ونوال السعداوي"، العدد الخامس، 2011، ص14.